المبحث التاسع

جرائم المادية «الماركسية» ضد الإسلام والمسلمين

obeikandl.com

obeikandl.com

(١) صابري «سيبريا» المستعمرة الإسلامية الأولى[١]

يحاول فريق من الناس في العالم العربي والإسلامي أن يعقد مصالحة وهمية بين المادية والإسلام؛ وعلى ذلك فلا مانع من الجمع بين الإيمان والمادية كمذهب اقتصادي أو كنظام سياسي وبين الإيمان بالإسلام كعقيدة وسلوك، ولذلك تسمعه يصف نفسه بأنه «المسلم الماركسي أو المسلم التقدمي».

وحقيقة الأمر أن مجرد محاولة عقد المصالحة بين الإسلام والماركسية (المادية) محاولة فيها دخل.

فالجمع بين الإيمان بهما كالجمع بين الماء والنار في إناء واحد ووصف الإنسان نفسه

---

(١) أحب أنبه أخي القارئ إلى أن الحديث عن هذه المستعمرات كان قبل انهيار الاتحاد السوفيتي وقد تكون هناك أسماء جديدة لهذه المستعمرات حيث أصبحت دولاً مستقلة بعد انفصالها ولكن هذا ما كان عليه وضعها قبل ذلك. ويعلم الله وحده كم عانيت في جمع هذه المعلومات لوجود تعتيم إعلامي كامل على هذه البلاد من وسائل الإعلام الشيوعية داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه، وقد رفضت كثير من المجلات والجرائد نشر هذه المقالات. بل إن البعض سامحهم الله ظن أن مصادرها أمريكية. وما بنا يعلم الله من ولاء لشرق ولا لغرب وإنما ولاؤنا لله ولرسوله ﷺ وللإسلام.

بأنه المسلم الماركسي وصف فيه جهل أو خبث، أما الجهل فهو بموقف الماركسية من الأديان عمومًا ومن الإسلام بوجه خاص وجرائمها الوحشية ضده وضد أبنائه، وأما الخبث فهو إذا كان لا يجهل ما سبق ثم يحاول أن يلبس على الناس دينهم تنفيذا لمرحلة من مراحل التكتيك الشيوعي (المادي) في القضاء على الإسلام حتى تأتي مرحلة الدماء ولا حاجة حينئذ لخبث أو مراوغة.

ولابد من معرفة موقف الماركسية من الإسلام وأبنائه حتى يميز الخبيث من الطيب وذلك من أقوال أقطاب المادية الشيوعية يقول كارل ماركس:

«إن الدين هو أفيون الفقراء».

ويزداد هذا المعنى وضوحًا وتأكيدًا حيث جاء في كتاب «حقيقة الشيوعية» الذي صدر في مصر ضمن سلسلة «اخترنا لك» في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين:

«بين الشيوعية والدين عداوة شديدة وحرب لا هوادة فيها ولا مهادنة، وهذا أمر طبيعي. فإن الشيوعية نظام مادي ـ تأمل عبارة نظام مادي ـ يستمد فكرته من نظرية فلسفية ملحدة، وتزعم أن كل ما يقع في التاريخ من حركات فأن مرجعه إلى الأسباب الاقتصادية دون غيرها، وما دامت الأسباب الاقتصادية هي التي تملي على التاريخ حركته وتسيره حيث تشاء، فلا مجال هنا للاعتراف بإله خالق وقوة وراء الغيب توجه البشر إلى مصائرهم بقوة وإرادة».

بل إن ماركس يقول عن الإسلام بوجه خاص في رسائله إلى صديقه انجلز:

«إن ثورة محمد الدينية كانت مثل غيرها من الحركات الدينية رجعية في المعنى الصحيح» أي أنها رجوعا خياليا إلى الأمور البسيطة، وهلك ماركس صاحب النظرية وجاء من بعده «لينين» مطبق النظرية ومنفذها فماذا قال؟ لقد كتب في إحدى رسائله إلى الأديب الروسي «مكسيم جوركي» ما يلي:

«إن البحث عن الله لا فائدة منه، ومن العبث البحث عن شيء لم يخبأ، وبدون أن

نزرع لا يمكن أن نحصد، وليس لك إله لأنك لم تخلقه بعد، والآلهة لا يبحث عنها وإنما تُخلق». [نعوذ بالله من هذا الكفر وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا].

فهل بعد ذلك يجوز الجمع بين الإيمان بالإسلام والإيمان والماركسية؟ «ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم».

أما ما أصاب إخوتنا من أبناء الإسلام على أيدي الشيوعيين الماديين في روسيا، فإن الحديث عنهم ذو شجون لأن مداده من دماء هؤلاء الأخوة الزكية الطاهرة، وكلماته هي أجساد شهدائهم البواسل، وسطوره هي بطولات خارقة ضد غزو همجي وعدوان وحشي قام به رعاع الدنيا وبرابرة الأرض وسفلة الناس ألا وهم الشيوعيون الروس ـ لعنهم الله ـ ولو قدر للإنسان أن يقرأ تاريخ هذا الغزو الذي انتهى بالاستعمار من مصادره الصادقة الأمينة لتميز غيظًا مهما كان حليما، ولكي يدرك الإنسان مبلغ نكبة تلك الأوطان لابد أن يعرف الفرق بين روسيا والاتحاد السوفيتي أما روسيا فهي دولة صغيرة تقع في الشمال الشرقي من أوروبا مساحتها ٤٠٠,٠٠٠ (أربعمائة ألف كيلو متر مربع) ولكنها أخذت في غزو الأقطار المجاورة لها يساعدها على ذلك جحافلها الهمجية، وما أذاقته للناس من ويلات وتدمير فامتدت إلى البلطيق غربًا إلى المحيط الهادي شرقًا وكانت نتيجة ذلك الغزو الهمجي والزحف المدمر أن استولت على أوطان نصرانية وأخرى إسلامية، أما النصرانية فهي:

١- أوكرانيا **٢- لاتقيا**

٣- استونيا **٤- لتوانيا**

وهذه الأوطان تتميز بضيق مساحتها وقلة ثرواتها مقارنة بالأوطان الإسلامية، أما الأوطان الإسلامية فنظرة إلى الجدول التالي تبين عددها وعدد السنين التي جاهدت خلالها حتى سقطت في براثن الدب الروسي القيصري ثم الشيوعي من بعده.

م	اسم الدولة	فترة الجهاد
١	إيديل أورال	١٥٢٢ - ١٥٦٦
٢	استراخان	١٥٥٤ - ١٥٥٦
٣	سيبريا	١٥٨١ - ١٦٣٧
٤	القرم	١٦٧٧ - ١٧٨٣
٥	القوقاز	١٥٩٤ - ١٨٩٣
٦	تركستان الغربية	١٧٣٥ - ١٨٩٢

وبعد هذا التوسع الاستعماري أصبح يطلق على روسيا «الاتحاد السوفييتي» الذي تبلغ مساحته (٠٠٠ ,٠٠٠ ,١٤) أربعة عشر مليونا من الكيلومترات المربعة يتكون ما يزيد عن ثمانية أعشارها من دول إسلامية وعدة قوميات كان أغلبها إسلاميا كذلك[١].

ومنذ أن استعمر قياصرة روسيا هذه البلاد وهم يعملون ليل نهار على استئصال شأفة المسلمين ومسخ الطابع الإسلامي لهذه الدول، ثم دالت دولة القياصرة وجاءت الثورة الشيوعية لتذيق المسلمين أشكالا وألوانا من العذاب تشيب لها الولدان. وجاهد هؤلاء المسلمون في الله جهادا كبيرًا وطالت فترة جهادهم في بعض البلاد ووقع بعض زعمائهم في قبضة الروس ومنهم الإمام «شامل» ولقد أعجب الشيطان الأكبر «كارل ماركس» ببسالة هذا الإمام وقال:

«أيتها الأمم اعتبري بما يمكن أن يفعله الرجال في الحالات التي ترغب أن تبقى فيها حرة» كما جاء في مجلة «مشاكل التاريخ» موسكو سنة ١٩٥٦م العدد ٢٧.

بل إن المؤرخ الروسي العسكري «فادييف» اعترف بما يلي:

---

(١) طبعًا هذا قبل تفككه وزواله.

«إن الحرب مع سكان جبال القفقاس قد أفقدتنا جيشًا يكفى عدده لاكتساح المنطقة الواقعة من مصر إلى اليابان». (مجلة القفقاس ميونخ سنة ١٩٥٢م المجلد ١ العدد ٦ ص٩).

وما إن تم لروسيا استعمار منطقة القوقاز حتى توجهت جحافلها إلى التركستان وغيرها من البلاد الإسلامية في أواسط أسيا إلى أن تم لها استعمار المنطقة كلها، ومنذ ذلك الوقت أخذت تستخدم أساليب الاستعمار التقليدية في هدم كيان هذه الدول فضيقت على الحريات واستغلت كل موارد الثروة الطبيعية مثل القطن والمعادن وغيرها أسوأ استغلال دون وازرع من ضمير أو خلق، وتأمل تاريخ (سيبريا) التي يرتبط اسمها في أذهان البعض بالنفي لمن تصيبه لعنة القياصرة ثم لعنة الحزب الشيوعي من بعدهم، لقد كانت جزءا من دولة (آلتين أوردو) التي أسسها الأمير (باطو) بن (جنكيز خان) حول نهر الفولجا، ودخل الإسلام هذه البلاد على يد رجل يدعى «الماس سلجي» الذي سمى نفسه (جعفر بن عبد الله) وتحمس أهل هذه البلاد للإسلام وحكموا باسمه زمنًا طويلًا.

وقد بلغت هيبتهم مبلغًا جعل (بارسلوف) دوق روسيا الأعظم يقسم يمين الولاء والطاعة وسائر الأمراء الروس للأمير (باطو)، (يَا لَهْفِي على بعض الصعاليك من العرب والمسلمين الذين كانوا يقسمون يمين الولاء لموسكو ثم تحولوا إلى أمريكا)[1].

وعاشت سيبيريا مملكة الفراوى النادرة والجواهر الثمينة بلادا إسلامية حتى القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) إلى أن بدأ الغزو الروسي لها واستمرت تجاهد هؤلاء الكفرة الفجرة أكثر من خمسين عامًا حتى سقطت أخيرًا في أيديهم، وكان آخر حكامها المسلمين هو السلطان (كوجم) الذي لم يكن النصر حليفًا لجيشه، فعرض عليه الروس أن يقبل الاحتلال الروسي ويعيش ملكًا تابعًا لهم، ولكن هذا السلطان المسلم الشجاع رفض هذا العرض واختار أن يجاهد في سبيل الله لتحرير سيبريا المسلمة، وفي أعقاب إحدى المعارك رؤي هذا الملك وهو يمشي هائمًا على وجهه وقد فقئت عيناه

(١) اللهف: كلمة يُتحسَّرُ بها على ما فات، ويقال: يا لهفي عليه.

ومن حوله أكوام من جثث القتلى من جنده البواسل، ولما عرض عليه السفير الروسي مرة أخرى أن يقبل حماية دولته الباغية جاء رده عليه:

«لا أقبل عيش الأسير ولا موت الذليل، ولست أحزن لفقد أموالي وأملاكي، وإنما حزني من أجل هؤلاء التعساء الذين يعيشون تحت نير الاستعمار الروسي».

واستشهد هذا البطل في سبيل الله ثم استشهد من بعده ابنه السلطان (علي) الذي ورث بلادًا كلها جراح وآلام - رحمهم الله جميعًا - واستولى الروس على هذه المساحات الشاسعة وأطلقوا عليها سيبريا وهي لفظ محرف من الاسم القديم (صابري)، ومن عجائب القدر أن (إيفان الثالث) أدار هذه البلاد لخدمة الحروب الصليبية لحساب الغرب من أجل القضاء على الدولة الإسلامية التي كانت عونًا لصلاح الدين الأيوبي.

وبلغ من حماسة أهل «صابري» للإسلام واعتزازهم به أن كان في كل قرية من جامعين إلى ثلاثة بل إن بعضها يوجد به أربعة أو خمسة جوامع، وكان كل جامع مدرسة دينية حيث كان يتعلم الأطفال فيها القرآن الكريم والفرائض التي أوجبها عليهم الدين[1]، ولقد وصل عدد الجوامع قبل قيام الحكم الشيوعي الأحمر ما يقرب من ثمانية ألاف جامع، وبلغ عدد المدارس الدينية ثمانمائة مدرسة كانت تؤدي رسالتها التي بنيت من أجلها.

ثم جاء الحكم الشيوعي الأحمر.. ولما كان موقفه من الإسلام كما أوضحنا في أول هذه الكلمة.. فقد أعدم الشيوعيون الآلاف بل مئات الآلاف من المسلمين ومن أئمتهم الذي لم يتمكنوا من الفرار أو الاختباء رميًا بالرصاص وبدون أية محاكمة كانت أو حتى إجراء تحقيق.

وقد تردد على ألسنة الشيوعيين في ذلك الوقت أغنية ساذجة قصيرة وحقيرة أيضًا تعيد إلى الأذهان ما حدث أثناء حكم يوحنا الجبار ومعنى هذه الأنشودة **«ماذا ستقول يا عمي الحاج فيما لو وضعت موسكو طوقًا حول رقبتك؟»**.

---

(١) مجلة درجي العدد ١ سنة ١٩٥٥ ص ٩٦.

وبلغ عدد الذين لقوا حتفهم من أساتذة التعليم ورجاله (٢٥٠٠٠) خمسة وعشرون ألفًا، وألغيت المدارس الدينية وجميع مؤسسات البر، وبالطبع تم هدم الثمانية آلاف مسجد وحولت إلى مستودعات ونوادٍ وصالات للهو والعبث ومساكن للمهاجرين الروس. وتم تبديل الحروف العربية، وبالتالي تعذر على الناس قراءة القرآن وقراءة المخطوطات الإسلامية، وحرموا من التبادل الثقافي مع إخوانهم المسلمين في الشرق وهكذا انقطعت صلتهم بالإسلام أو كادت ولله الأمر من قبل ومن بعد. وما أحب أن أشق عليك أيها القارئ الكريم بمزيد من الحديث عن مآسي إخواننا المسلمين في هذه البلاد .. وحسبي في هذا المقام ما ذكرت من تاريخ روسيا[1].

وإنه لتاريخ أسود الصفحات أحمر الكلمات.

ولعلك تستوقفني ـ أخي القارئ لتسأل: ولماذا لم يتنبه العالم الخارجي إلى خطر الاستعمار الروسي ؟ ويجيب الأستاذ محمد سامي عاشور عميد معهد المعلمين قائلًا: إن ذلك يرجع إلى عدة عوامل:

أولًا: كان الناس ينظرون إلى التوسع الروسي في تلك الجهات على أنه امتداد طبيعي فيما خالوه جزءًا متممًا لبلاد سيبريا التي كانت روسيا تستعمرها منذ القرن السابع الميلادي.

ثانيًا: إن الاستعمار عن طريق البر أو الاستعمار من الباب للباب لم يكن لافتًا للنظر.

ثالثًا: كانت معظم شعوب آسيا وأفريقيا التي لها وعي سياسي تصب حملاتها على بيان مساوئ الاستعمار الأوربي فقط بينما كانت روسيا تتسلل في الظلام إلى الدول الإسلامية في أواسط آسيا، وساعدها الحظ على أنها لم تكن مضطرة إلى ركوب البحر بحكم موقعها الجغرافي من هذه البلاد، أما المسلمون أنفسهم فلم يشعروا بوطأة هذا الاستعمار الخفي وما سوف يكون له من أثر في حياة

(١) وها هو ذا التاريخ يعيد نفسه في وقفتها المؤيدة لخنازير أوروبا كما يطلق عليهم وهم الصرب المجرمون في إبادتهم للمسلمين في البوسنة والهرسك تحت سمع وبصر العالم الذي يزعم أنه المتمدن .

إخوانهم المسلمين الذين يزيدون على أربعين مليونًا (في وقت الاستعمار)، لأنهم كانوا في شغل شاغل بشئونهم الخاصة، إذ يحاولون استخلاص أنفسهم من استعمار آخر أكثر وضوحًا وأشد نكاية من جهة الغرب كما كانت الدولة العثمانية في أخريات حياتها، وقد كان لها الشيء الكثير من الهيبة الكاملة في نفوس الغرب أيام قوتها وعنفوانها.

وبعد فكم من أبناء العرب والمسلمين يعرفون أن «سيبريا» كانت دولة إسلامية تدعى «صابري»؟

obeikandl.com

هـذا نـذير

(٢) التركستان الغربية ـ المستعمرة الإسلامية الثانية

حينما يقرأ الإنسان أو يسمع أنباء الزحف المادي الأحمر على أجزاء غالية من وطننا الإسلامي كأرتيريا وأفغانستان وعدن[١]... إلخ يصاب بدوار ثم يسأل نفسه هل هي مؤامرة بين القوى العالمية الكبرى لبتر أجزاء هذا الوطن جزءًا تلو الآخر حتى إذا لم يبق إلا القلب أصبح من اليسير الإجهاز عليه بين عشية وضحاها؟ـ لا قدر الله ـ فيكثر في الأرض الفساد وتخرب البلاد وتذل العباد، ولننظر إلى الماضي القريب بعين الاعتبار والانتفاع بدروس التاريخ حتى تبدو أبعاد المؤامرة أمام أعيننا ولنرى ما الذي صنعته الشيوعية حينما تمكنت من الزحف والسيطرة على أقطار إسلامية في أواسط آسيا، هذه الأقطار التي كانت يومًا ما درعًا حصينًا للإسلام فأصبحت خطرًا يتهدده، بل ويتحين الفرصة للإجهاز عليه.

وكأني بالشيوعية بعد أن ابتلعت هذه الأقطار في آسيا قد ازدادت نهمًا وشراهة لأقطار أخري في أفريقيا، ثم للسيطرة على منابع البترول، وبهذا يتم لها تطويق العالم العربي قلب العالم الإسلامي .

لننظر إلى التركستان الغربية بلد الإمام البخاري - التي لا يعرف عنها أبناء العالم الإسلامي إلا القليل بل ربما أقل من القليل.

أين يقع هذا البلد؟ وما هي ثرواته الطبيعية؟

يقع هذا البلد بين بحر قزوين ونهر أورال غربًا، وسد الصين شرقًا، وبين سيبيريا الدولة المسلمة التي كانت تسمي (صابري)ولكن الروس حرفوا الاسم إلى سيبيريا جريا على عاداتهم في ترويس كل شيء -كما ذكرنا- من قبل، ومنغوليا شمالًا، وإيران وأفغانستان والهند والتبت جنوبًا.

---

(١) هذا قبل أن تتوحد مع اليمن.

وبذلك تبلغ مساحته ما يزيد عن خمسة ملايين ونصف كيلو مترًا مربعًا أي أنه أكبر من مساحة أفغانستان، إيران، تركيا، العراق، والمملكة العربية السعودية مجتمعة.

لقد جعلها هذا الموقع ممرًا حيويًّا لتجارة الصين و الفرس والعرب والرومان، لذلك ازدهرت الحياة فيها على مختلف العصور.

وتتميز التركستان بمناخها المعتدل صيفًا وشتاءً، وتكثر بها المراعي والمزارع والأشجار، كما أنها تتمتع بثروة معدنية هائلة جعلتها مطمعا للغزاة، وتتمثل هذه الثروة في مناجم الذهب - الحديد والرصاص - الفضة - البترول - الفحم الحجري - الزئبق، وحسبك أيها القارئ الكريم أن تعلم أن عدد مناجم الذهب فقط يبلغ خمسة وعشرين منجما لتتصور قيمة هذه الثروة المعدنية، ويبلغ تعداد التركستان أربعين مليونا ؛؛ أو يزيدون لا ندري كم أصبح عددهم بعد التصفية الجسدية لهم على أيدي روسيا الشيوعية الحمراء وكانت التركستان تتمتع باستقلال ذاتي وكيان سياسي شأنها في ذلك شأن سائر الدول المجاورة لها.

ولكن متى دخل الإسلام التركستان وما هي معالمه فيها؟

دخل الإسلام هذا البلد عام ٨٦ هـ في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على يد القائد العربي المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي ومنذ ذلك الحين أعلنت التركستان ولاءها للخلفاء الأمويين ومن تبعهم واصطبغت بالصبغة العربية الإسلامية فأصبحت اللغة العربية هي اللغة أو الوعاء الذي يحتوي ثقافتها وعلومها وفنونها وهي الميدان الذي يتباري فيه الأدباء والخطباء وأصبحت العرائض وحجج الأملاك تكتب بهذه اللغة، ومن العجائب أن القضايا والخصومات كانت تكتسب مرتبة الأولوية إذا كتبت باللغة العربية، وما إن أشرقت شمس الإسلام على هذا البلد حتى قدم إلى العالم الإسلامي علماء أجلاء وأئمة فضلاء منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١ - **الإمام البخاري**: وهو من إمارة بخارى إحدى إمارات التركستان الثلاث وهو صاحب صحيح البخاري الذي أسماه بـ «الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث

رسول الله ﷺ وسننه وأيامه» ولقد ذب فيه الكذب عن رسول الله ﷺ وهو يعتبر أصح الكتب بعد كتاب الله بإجماع الأمة ولو أرجف المرجفون وكره الكارهون والمنافقون.

٢- **الإمام الزمخشري**: صاحب الكشاف في تفسير القرآن.

٣- **أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي**: صاحب التفسير المشهور أيضًا.

٤- **الأديب أبو بكر الخوارزمي**.

٥- **أبو زيد البلخي**: أشهر رياضي العصر العباسي.

وغيرهم كثير مثل الجرجاني والسكاكي.

٦- ومن المعاصرين منهم سماحة الشيخ **مبشر الطرازي الحسيني** عليه رحمة الله الذي أخرجه الشيوعيون من دياره بعد جهاد مشكور وعمل مأجور إن شاء الله، وكان يشغل منصب قاضي قضاة التركستان. ولقد كتب عنه الأستاذ الكبير أنور الجندي على صفحات مجلة رابطة العالم الإسلامي عام ١٣٩٨ هـ عقب وفاته؛ وفاءً بشيء من حق هذا العالم المهاجر والمجاهد في سبيل الله.

ولقد شاء الله أن ألتقي به في منزله بحي المنيل في القاهرة باسم دار تبليغ الإسلام التي أسسها الداعية المسلم المهندس محمد توفيق أحمد في مدينة أرجاو بسويسرا ١٩٢٩م ثم انتقلت إلى القاهرة عام ١٩٣١م وهدفها تصحيح مفهوم الأجانب عن الإسلام عن طريق رسائلها المجانية التي تطبع بكافة اللغات الحية في العالم والتي كان من آثارها الطيبة بحمد الله أن دخل في الإسلام ما يزيد عن أربعة آلاف ونصف من جنسيات مختلفة - والبقية تأتي بإذن الله - كما أنها تصدر مجلة البريد الإسلامي باللغة العربية، والرجل يعمل في صمت وتجرد تحت شعار «**اعمل ليراك الله وحده بعيدًا عن أعين الناس**».

التقيت بالشيخ الطرازي - رحمه الله - بصحبة نجله الأكبر الأستاذ نصر الله الطرازى أستاذ الأدب التركي بجامعة الأزهر، والحاج بكير بك المهاجر الداغستاني المسلم، وكان ذلك في يوم السبت ٢٠ من مارس ١٩٧٦ م واستقبلنا الشيخ الوقور الذي تجاوز الثمانين

برقته ووداعته وأدبه الإسلامي الرفيع. وكان الحديث عذبا طيبًا يفيض علمًا وحكمة وإخلاصًا، وكان مما حدثني عنه كتابه القيم «كشف اللثام عن رباعيات الخيام» الذي يبين فيه بالدليل القاطع والبرهان الساطع أن رباعيات الخيام التي تغنيها مغنية معروفة لقيت ربها، وأفضت إلى ما قدمت ليست لعمر الخيام ولا حتى بيتًا واحدًا منها؛ ثم قال:

«إن أنصار هذه الرباعيات في مصر وعلى رأسهم الشاعر أحمد رامي تصدوا لطبع هذا الكتاب مرة ثانية».

وحينما هممنا بالاستئذان قال رحمه الله:

«يا بني سأقول لك جملة عليك أن تحفظها جيدًا وهي: لقد أقام الاتحاد السوفيتي الكافر إدارة دينية لمسلمي وسط آسيا وهذه الإدارة لا تخدم الإسلام بأية حال من الأحوال، وإنما تهدف إلى القضاء على الإسلام في الاتحاد السوفيتي أولًا ثم خداع المسلمين في العالم الخارجي ثانيًا، وما تقرأه في مجلة (الشرق السوفياتي) هو أكاذيب، أقول ذلك يا بني للحقيقة والتاريخ».

وعلق على ذلك نجله الأستاذ نصر الله بقوله:

«لماذا لا يكتب عن الوجه الحقيقي للإدارة الدينية بالاتحاد السوفيتي؟» ورجوت من الله أن يتم ذلك.

ومضت فترة على هذه الزيارة ثم أرسلت رسالة إلى الشيخ أطلب فيها تحديد موعد لزيارة أخرى لأتعرف منه على المزيد من التفاصيل بالنسبة لأحوال إخوتنا المسلمين في الاتحاد السوفيتي وجاءني رده بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٧٧ م بأنه قد حدد يوم الجمعة ٢٥ فبراير موعدًا للزيارة ويشاء الله أن يختاره إلى جواره يوم الاثنين ٢١ فبراير، أي في اليوم التالي لكتابة هذه الرسالة مباشرة وصدق الله العظيم ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

ونعود أيها القارئ إلى دور التركستان مرة أخرى، لأنه لم يقف عند تقديم هؤلاء العلماء الأجلاء إلى العالم الإسلامي بل وقفت إلى جوار أخواتها من الدول الإسلامية في المشرق العربي درعًا حصينًا للإسلام ضد الحروب الصليبية، وبعض الآثار بالقاهرة لا يزال يحمل أسماء تركستانية كشاهد على ما نقول مثلًا فحديقة الأزبكية كانت معسكرًا للفرقة (الأزبكية) وهي إحدى القبائل التركستانية التي جاءت إلى مصر للمشاركة في صد الهجوم الصليبي، ومسجد أزبك بحي السيدة زينب ومسجد كتخدا وابن طولون.

كل هذا يدل على مدى وحدة العالم الإسلامي وانضواء أبنائه تحت راية التوحيد والوحدة عملًا بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وهنا يبرز سؤال هو:

متى بدأت نكبة التركستان بالاستعمار الروسي؟ وما هو موقف أهلها منه؟

بدأت هذه النكبة حينما احتلت الصين الجزء الشرقي (التركستان الشرقية) والتي تطلق عليها (سينكيانج) في عام ١٨٨١م بعد حروب طاحنة دامت مائة وستة وخمسين عامًا، وبالطبع أصاب هذا الجزء من الويلات ما أصابه وإن كانت بطابع صيني، فالكفر كله ملة واحدة في حربه للإسلام والمسلمين، ثم بدأت روسيا بدورها تحتل الجزء الغربي (التركستان الغربية) إمارة تلو إمارة، فاستولت على إمارة (بخارى) عام ١٨٥٠م وعلى إمارة (فرغانة) عام ١٨٧٣م وعلى إمارة (خيوة) عام ١٨٧٦م، وهكذا جثم الدب الروسي بصدره على التركستان الغربية.

إلى أن سقط الملك نيكولاي أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٧م ثم قامت حكومة (كرينسكي) وحسب الناس أنه قد حان الوقت للاستقلال فقامت الحركة الوطنية لتحرير التركستان والحصول على استقلالها ولكنها فشلت لأسباب كثيرة، منها: تسلل الروس بين المسلمين وإحداث الفتنة والاضطراب بينهم.

ثم انقض الحكم الشيوعي الأحمر على بلاد (فرغانة) و(طشقند) و(خيوة) ما بين عامي ١٩١٨ - ١٩٢٠م.

ثم قامت حركة وطنية لمناهضة الحكم المستبد في فرغانة وسمرقند واستمرت من عام ١٩١٨ حتى ١٩٢٦ م ولكنها فشلت وانتهت بقتل محمد أمين بك أعظم قائد الحركة الوطنية.

ثم قامت حركة وطنية في (بخارى) تحت قيادة السيد (أكرم خان) عم الأمير (محمد عالم خان) أمير بخارى، وقامت حركة وطنية كذلك تحت قيادة البطل إبراهيم زعيم قبيلة (لقي آلي) استمرت سبع سنوات وانضم إليه القائد التركي أنور باشا، ثم قامت حركة أخيرة إبان الحرب العالمية الثانية على الحدود بين أفغانستان وتركستان وبخارى للجهاد، ولكن ما حدث على الجبهة الغربية بين الروس والألمان لم يساعد هذه الحركة على النجاح، وكانت هذه آخر الحركات الوطنية لتحرير التركستان الغربية.

وهكذا ترى أيها القارئ أن أهل هذه البلاد المسلمين لم يستسلموا للحكم الشيوعي الأحمر دون مقاومة، بل جاهدوا جهاد الأبطال ولكن أساليب البطش والتدمير الأحمر كانت أكبر من طاقتهم. فمتى يستيقظ المسلمون مرة أخرى وتتجدد هذه الحركات؟ خصوصًا وأن الشعب التركستاني لا يزال يئن تحت وطأة هذا الحكم بمظالمه وفظائعه ومجازره التي لم يعرف لها التاريخ مثيلًا، وكيف لا يكون كذلك وها هي ذي المبادئ التي طبقها على هذا المجتمع المسلم والتي يطبقها على كل مجتمع تصيبه لعنته:

١- محاربة الأديان كلها وخصوصًا الإسلام؛ لأن الواجب على الشيوعي أن ينكر وجود الله وبالتالي لا يؤمن بكتبه ولا برسله، وإلا فجزاءه الطرد من وسط الشيوعيين ومن وظيفته التي يقتات منها .

٢- القضاء على العلماء المسلمين وعلى الأشراف والتجار وذلك بالقبض عليهم ومصادرة أموالهم ثم إعدامهم أو نفيهم أو حبسهم في سجون قاتلة.

٣- فرض ضرائب باهظة على أفراد الشعب يسمونها «نلوك» حتى يرهقوا الشعب ماديًا وبالتالي يمد يده إلى الحكومة ويضطر إلى قبول الشيوعية في ذلة وصغار، وإذا تأخر فرد عن دفع هذه الضرائب صودرت أمواله وأثاثه وسائر ممتلكاته في الحال.

٤- القضاء على الملكية الفردية للأرض الزراعية وجعل الزراعة تحت إدارة الحكومة بتشكيل ما يسمى «كولخوز» أي هيئة الزراعة الجماعية، وكذلك المصانع تدار بواسطة الحكومة، وما العمال إلا أجراء لديها، وكذلك جعل التجارة في يد الحكومة بتشكيل ما يسمى «كوأوبراتيف».

٥- القضاء على الأخلاق الفاضلة وتشجيع النساء على التحلل وقبول الشيوعية.

٦- تقسيم أفراد الشعب إلى طبقتين: طبقة لها الحق «وهي التى قبلت الشيوعية»، وطبقة لا حق لها «وهي التي رفضت الشيوعية» إذا كان من حقها الرفض. وتتمتع الطبقة الأولى بحق شراء الأغذية والأقمشة وغيرها من محلات (كوأوبراتيف).

٧- القضاء على المدارس الإسلامية والمساجد والكنائس بهدمها وتحويلها إلى أماكن لعبث الشيطان أو مساكن للمهاجرين الروس.

٨- انتهاج سياسة الدكتاتورية المستبدة ومصادرة الحريات وجعل نصف الشعب جاسوسا على النصف الآخر.

٩- نشر الشيوعية بكافة وسائل الترغيب والترهيب بين أفراد الشعب وحثهم على محاربة الدول غير الشيوعية وإثارة الشعوب عليها عملًا بتصريح «لينين» وهو: ما دامت الدول الرأسمالية قائمة فإنها ستبقى معادية للاتحاد السوفييتي.

١٠-حث الشيوعيين جميعًا على قلب نظام الحكم في العالم وتحويله إلى الحكم الشيوعي العالمي عملًا بشعارهم (مي نووي ميرياسترويم) أي (نحن نعمر دنيا جديدة).

ذلك قليل من كثير عن حال التركستان الغربية في ظل الحكم الشيوعي الأحمر. ووا أسفاه لقد ارتفعت عليها راية المطرقة والمنجل بعد أن كانت ترفرف عليها راية القرآن، ونعود ونتساءل: هل سينتبه المسلمون حكامًا وشعوبًا حتى لا تكون بلادهم تركستان أخرى.

وهل سيجتمعون على قلب رجل واحد ويجاهدون في الله حق جهاده حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وتتحرر هذه البلاد وغيرها من الاستعمار الروسي لترتفع راية القرآن على التركستان وعلى غير التركستان من الأجزاء العزيزة على نفوسنا والحبيبة إلى قلوبنا مرة أخرى.

أقول: إنهم يرونه بعيدًا، ولكن على الرغم من هذه الضربات التي تتوالى على العالم الإسلامي لو صدقوا الله ما وعدوه لكان قريبًا[1].

أليس هو القائل: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

يا قوم.... هذا وعد الله ومن أوفي بعهده من الله؟ فإن لم تفقهوا:

فهذا نذير.

(١) كتبنا هذا قبل تفكك الإتحاد السوفيتي ثقة بوعد الله وقد تحقق والحمد لله.

اسم خبيث: ليونيد بريجنيف معناه: ليون اليهودي ابن إيليش اليهودي ابن بريزنيف اليهودي. (رئيس الاتحاد السوفيتي وسكرتير الحزب الشيوعي، صاحب السلطة المطلقة والقبضة الحديدية، وقت كتابة هذا الكلام).

كومسومول: معناه رابطة الشبيبة الشيوعية العالمية اللينينية وهدفها محاربة الأديان ونظام الأسرة.

obeikandl.com

هـذا نـذير

(٣) التركستان الشرقية (سينكيانج) - المستعمرة الإسلامية الثالثة

تحدثنا بتوفيق الله في الصفحات السابقة عن المستعمرة الإسلامية التي سقطت فريسة للاستعمار الشيوعي الأحمر وهي التركستان الغربية وفي هذه المرة نعود إلى الحديث عن التركستان أيضًا ولكنها التركستان الشرقية، وإليك أيها القارئ العزيز شيئًا يسيرًا عن هذا الوطن حتى تعرف إلى أي مدى بلغت دعوة الإسلام حينما وجدت رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه فصدقهم الله وعده، ومن أوفي بعهده من الله؟

تقع التركستان الشرقية على طرق التجارة التي تصل الصين بالعالم الخارجي وكان أحد هذه الطرق يسير بمحاذاة جبال (بامير) التي تفصل التركستان عن باكستان والآخر يمر فوق الهضاب حتى يصل إلى منطقة «خلجا».

وفي هذين الطريقين سار السياح العرب والأوروبيون وزحفت الجيوش العربية حتى بلغت الصين ودخلتها، بل واتصلت مدنيات العالم ببعضها كذلك بواسطة هذين الطريقين.

كما سار فيهما الإسكندر المقدوني بجيوشه متجها نحو الشرق. كما بدأ القائد العربي المحنك (قتيبة بن مسلم) هجومه على إمبراطورية (تانك) الصينية من خلال التركستان.

كما أن النبيل (بابر) (أوبير) ترك بلدة فرغانة في التركستان وهبط إلى أرض بالبنجاب فأسس إمبراطوريته الواسعة وظل أحفاده يحكمونها (وهي الهند) حتى انتزع الإنجليز الحكم منهم وسلموه للهندوس، وهكذا تبدو أهمية التركستان الشرقية من خلال موقعها الجغرافي.

أما مساحتها:

فتبلغ ما يقارب المليونين من الكيلو مترات المربعة وتجري بها الأنهار مثل نهر «إيلي» و«تاريم» وتوجد بها صحاري شاسعة تعتبر مستودعا لكثير من الكنوز والآثار وبها

سلسلة من الجبال مثل «تنري طاغ»، وتنهمر السيول من هذه الجبال، وسفوحها عبارة عن جنة خضراء وأوساطها ثلوج لؤلؤية بيضاء، أما أعاليها فكتل صخرية سوداء، وهكذا تتميز التركستان بخصوبة أراضيها الزراعية، ومناظرها الجميلة، وقلاعها الحصينة، ومدنها العامرة، وحدائقها الغناء، وتكثر بها محاصيل القمح والشعير والذرة، وسائر الحبوب الغذائية، والقطن والخضروات والفواكه المتنوعة، ولذلك تعتبر في حالة اكتفاء ذاتي من هذه الناحية.

أما من حيث الصناعات فبعضها يدوي كصناعة الحرير والسجاد، كما توجد بها مصانع ضخمة لحلج القطن ودبغ الجلود، وبالنسبة للثروة المعدنية تكثر بها مناجم المعادن مثل الذهب والفضة، والحديد، والرصاص، والفحم الحجري.

ويبلغ تعداد سكانه قرابة اثنا عشر مليونًا وذلك في عام ١٩٢٠م (ولا ندري كم أصبح عددهم الآن بعد المذابح الوحشية التي تعرضوا لها على أيدي الشيوعيين).

ويتحلى التركستانيون بأجمل ما يتحلى به المسلم من صفات مثل الكرم والشهامة الاعتزاز بالنفس وإيواء الغريب والشجاعة والإقدام وتلبية داعي الجهاد حينما يدعون دون تردد ولا تثاقل، وهدفهم جميعًا خدمة الوطن وإعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله. وهم محبون للحرية محبون لأوطانهم، ويقول عنهم (قتيبة بن مسلم) القائد الإسلامي فاتح التركستان الغربية: إن التركستاني أحن إلى وطنه من الإبل إلى معاطنها. ويقول عنهم الشاعر العباسي المشهور أبو إسحاق:

وفتية من كماة[1] الترك ما تركت
كماتهم للرعد صوتًا ولا صيتا
قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة
جُسنًا وإن قوتلوا صاروا عفاريتا

(١) جمع كمي وهو لابس السلاح والشجاع المقدام.

محنة التركستان الشرقية وجهاد أهلها البطولي:

١ - لما كانت التركستان تتميز بما سبق من موقع جغرافي هام، وثروة زراعية ومعدنية وافرة فقد جعلها الغزاة هدفًا ومطمعًا لهم حيث انتهز الصينيون وفاة الملك (بدولت يعقوب خان) عام ١٨٨٧م وأغاروا على التركستان بجحافلهم التي تضيق بها الأرض على سعتها، ولكن الأهالي وقفوا في وجوههم وقفة الأبطال، ولكن ماذا تعني الشجاعة أمام هذا الزحف المدمر الذي يفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل، وتمكن الصينيون من احتلال هذا الوطن الإسلامي وأطلقوا عليه اسم (سنكيانج) أي الأرض الجديدة، ولكن الثورة على المحتلين لم تهدأ في نفوس الأهالي بل تحينوا الفرص للخلاص منهم، وقامت ثورات متعددة ومعارك ضارية تسطر أروع وأخلد الصفحات في تاريخ هذا البلد وتاريخ الكفاح الإسلامي بصورة عامة، وكان النصر حليفهم بعد هذا الكفاح المرير، وكتب الله لهم الفوز في عام ١٩٣٢م وأطلقوا على بلدهم «جمهورية التركستان الشرقية الإسلامية».

ولكن نيران الحقد اشتعلت في نفوس الصينيين فتربصوا الدوائر بهذا البلد وازداد الطين بلة حينما طلبوا من الروس أن يساعدوهم على غزوه مرة أخرى. وسرعان ما استجاب الروس لطلبهم وصدق الله العظيم القائل ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الجاثية: ١٩] فزودوهم بالجيوش والمعدات الحربية وتمكن الاثنان من احتلال البلاد وسقطت التركستان في عام ١٩٣٤م تحت النفوذ الروسي والصيني، وتعرض أهل هذا البلد الطيب لأنواع وأشكال من التعذيب يشيب لهولها الولدان.

وسأوافيك ببيانها أيها القارئ الكريم بعد قليل.

٢ - وعادت دماء الحرية والثورة تغلي في نفوس التركستانيين فقاموا بعدة ثورات أجبرت الحاكم الصيني على طلب النجدة ولكن من حكومة الصين المركزية هذه المرة، حيث كانت روسيا مشغولة بمعركة (ستالينجراد) وأرسلت حكومة الصين بدورها ست فرق من ميدان الحرب الصينية اليابانية حتى تم إخماد هذه الثورات.

ولكن على الرغم من ذلك تجددت الثورة بصورة عاتية أجبرت حكومة الصين على وعدهم بمنحهم استقلالهم الذاتي، وكان هذا بارقة أمل لهم ولكن سرعان ما أخلفت حكومة الصين وعدها.

٣- لما أخلفت حكومة الصين ما وعدت ثار الأهالي من جديد عام ١٩٤٦م فطلبت الحكومة الهدنة، وكان ذلك بشيرا بتحقيق مطالب التركستانيين فوضعوا أسلحتهم إلا منطقة «إيلي» التي رفضت أن تضع أسلحتها حتى يتم الاستقلال التام.

وازداد السخط على المحتلين والتبرم بهم والمعارضة لهم بصورة عنيفة جاء ذكرها على لسان «جابك جي جونك» الحاكم العسكري الصيني وقائد جيش الاحتلال حينما كان يتحدث في المؤتمر الذي عقد في ١٣ مايو ١٩٤٧م في مدينة (أوروجي) العاصمة حيث قال:

«إن الشعور خلال الظروف الحاضرة ليس وديًّا إزاء جنودنا ومصالحنا، وإذا استمر الحال على ذلك فإنه سيعوق جهودنا لتطبيق الاتفاقيات السلمية ولأذكر لكم مثالًا: في صباح اليوم المخصص للعفو العام أنزلت المدينة كلها فجأة أعلام الصين الوطنية، وصار المطالبون بالعفو يهتفون بهتافات لم نسمع منها واحدة على غرار (لتعش الجمهورية الصينية) بينما ملأ الأسماع هتافات مؤداها «لتعش الثورة»». (محنة في سنكيانج بقلم الجنرال جانك جي) مجلة باسفيك نيوز عدد ديسمبر ١٩٤٧م

٤- ظفرت التركستان باستقلالها عن الصين وتشكلت حكومة برئاسة الدكتور «مسعود صبري» ويعاونه الزعيمان«محمد أمين بوغرا» و«عيسى يوسف»، وكان هؤلاء الزعماء يطالبون دائمًا بخروج المحتلين الصينيين من البلاد وعدم تدخل الروس أيضًا في شئونهم الداخلية حتى أن (شيانج كاي شيك) أعلن أن هؤلاء الزعماء أخطر عليه من الشيوعيين الصينيين، وبينما كان يحارب أولئك الشيوعيين في بلاده أصدر أمرًا في آخر ديسمبر ١٩٤٨م بعزل الدكتور «صبري» رئيس الحكومة وعين بدلًا منه رجلًا تتريًّا

من روسيا الاتحادية يدعى (برهان شهيدي) وهو معروف بميله الشديد إلى روسيا وإلى مبادئها الشيوعية.

وعين محمد أمين بوغرا وكيلًا للحاكم العام، وكان يكره الاستعمار الصيني ويتودد إلى روسيا لعلها تستخدم نفوذها لدى الصين لصالح التركستان، ثم عين (تاوسي يو) قائدًا لجيش الاحتلال الصيني وهو معروف بولائه للشيوعية، وعزل القائد المسلم الصالح ثم عين سكرتيرا شيوعيا للحاكم العام بدلًا من «عيسى يوسف» الذي عرف بكراهيته الشديدة لكافة الدول الاستعمارية.

ولقد فعل (شيانج كاي شيك) كل ذلك مجاملة لروسيا وتمهيدًا للتنازل لها عن التركستان حتى ترفع بدورها يدها عن الصين نفسها ولكن (الدب الروسي) لم يكن غبيًّا كما تصور (البغل الصيني) فاستمر ذلك الدب يمد أتباعه من الشيوعيين بالأسلحة والعتاد، وفي ٢٥ أغسطس ١٩٤٩م أمر عملاءه وهم: «برهان شهيدي» و«تاوسي يو» و«ليو شون» بإعلان استسلام التركستان الشرقية للشيوعيين الصينيين.

وفي ٢٦ سبتمبر من نفس العام أعلن الحاكم العسكري «برهان شهيدي» وقائد الجيش الاستسلام.

وفي ١٣ أكتوبر ١٩٤٩م وقعت الطامة الكبرى وتم احتلال التركستان الشرقية بواسطة قوات الصين الشيوعية لتبدأ حلقة حمراء في سلسلة المأساة التي يعيشها ذلك البلد الإسلامي حتى اليوم[1]، ولقد أذاع «برهان شهيدي» ذلك العميل الروسي الخائن بيانًا في صباح أول يناير ١٩٥٣م خلاصته:

١- تم إعدام أكثر من ١٣٠,٠٠٠ شخص من أعداء النظام الشيوعي.

---

(١) ولعلك أخي القارئ سمعت عن العصيان الذي أعلنه أهل هذا البلد بسبب المظالم التي ترتكب بحقهم في عام ٢٠١٠م، فكان الجزاء أن أبيدت قرى بأكملها واختفت من الوجود بواسطة الجحافل الصينية، ولم تحتج دولة عربية أو إسلامية واحدة على هذا العدوان الوحشي البربري، ولا يزال الصراع قائمًا حتى الآن، وإن كان أشبه بالنار تحت الرماد.

٢- عدد المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة ٢٦٨,٠٠٠ منهم:

أ- ٤٥,٠٠٠ لإنشاء الطرق الداخلية.

ب- ١٣,٠٠٠ لإنشاء طرق تركستان إلى التبت.

ج- ٣٠,٠٠٠ لإنشاء السكك الحديدية بين الصين وروسيا.

د- ٥٠,٠٠٠ لإنشاء مدينة ذرية وسط الصحراء.

هـ- ١٣٠,٠٠٠ في حفر القنوات والبحث عن المعادن.

وإليك أيها القارئ بيانًا بأنواع وأشكال التعذيب التي تعرض لها إخوة لنا في الإسلام على أيدي المستعمر الشيوعي الروسي قبل أن ينسحب من التركستان الشرقية، ويقوم عملاء الشيوعية باستيراد بعضها أو معظمها إلى أوطانهم وليس الشيوعيون في الصين بأحسن حالًا من قرنائهم الروس فالكفر كله ملة واحدة:

١- دق مسامير طويلة في الرأس حتى تصل إلى المخ.

٢- إحراق المسجون بعد صب البترول عليه وإشعال النار فيه.

٣- جعل المسجون هدفًا لرصاص الجنود يتمرنون عليه في دقة التصويب.

٤- حبس المسجونين في سجون لا ينفذ إليها هواء ولا شمس ثم تجويعهم حتى الموت.

٥- وضع خوذات معدنية على الرأس وإمرار تيار كهربائي فيه لاقتلاع العيون.

٦- ربط الرأس في طرف آلة ميكانيكية وباقي الجسم في آلة أخرى ثم تدار كل منهما في اتجاه مضاد اقترابًا وابتعادًا عن الأخرى وإما أن يعترف المتهم أو يموت.

٧- كي كل عضو من الجسم بقطعة من الحديد ساخنة إلى درجة الاحمرار.

٨- صب زيت مغلي على الجسم.

obeikandl.com

٩- دق مسمار حديدي أو إبر الجرامافون في الجسم.

١٠- إجلاس الشخصية؛ جلسة يتمكنون بها من إيلامه كثيرًا حين يضربونه على أعضائه التناسلية.

١١- إدخال شعر الخنزير في فتحة العضو التناسلي.

١٢- إدخال قضيب حديدي ساخن في مكان حساس.

١٣- تسمير الأظافر بمسمار حديد حتى يخرج من الجانب الآخر.

١٤- ربط المسجون على سريره ربطًا محكمًا لأيام عديدة.

١٥- إجبار المسجون على أن ينام عاريًا فوق قطعة من الثلج أيام الشتاء القارس.

١٦- وضع لوح من الخشب فوق رقبته وكتفه بحيث يظل منحنيًا لا يستطيع حركة.

١٧- نتف كتل من شعر الرأس يعنف يسبب اقتلاع جزء من جلد الرأس.

١٨- تمشيط جسم المسجون بأمشاط حديدية حادة.

١٩- صب المواد الكاوية في أنوف المسجونين وأعينهم بعد ربطهم ربطًا محكمًا.

٢٠- وضع صخرة على ظهر المسجون بعد أن توثق يده إلى ظهره.

٢١- ربط يدي المسجون وتعليقه بهما إلى السقف وتركه ليلة كاملة أو أكثر.

٢٢- ضرب المتهم بعصا بها مسامير حادة.

٢٣- سجن المتهم في سجن إنفرادي ضيق.

٢٤- ضرب الجسم بالكرباج حتى يدميه ثم يقطع الجسم إلى قطع بالسكين.

٢٥- إحداث ثقب في الجسم وإدخال حبل ذي عقد واستعماله بعد يومين كمنشار لقطع أطراف الجرح المتآكل.

obeikandl.com

٢٦- تسمير أذني المسجون في جدار حتى يظل واقفًا أطوال مدة.

٢٧- وضع المسجون في برميل مملوء بالماء في فصل الشتاء.

٢٨- خياطة أصابع اليدين والقدمين وشبك بعضهما ببعض .

وبعد:

فتلك كلمة موجزة عن إخوة لنا في الإسلام وفاء لهم بحقهم علينا.

وهي جهد المقل ولعل من بيدهم الأمر يكون لهم من العمل ما يضمد جراح هؤلاء الأخوة ومن على شاكلتهم. ومن اليقظة والحذر ما يدفع عن أوطانهم الخطر الشيوعي الأحمر الذي يتهددها حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

وأعود وأتساءل مرة أخرى: كم من أبناء العرب والمسلمين يعرفون شيئًا عن تاريخ هذا البلد وجهاد أبنائه المسلمين البواسل؟

obeikandl.com

هـذا نـذير

(٤) القوقاز - المستعمرة الإسلامية الرابعة

لعلك تذكر أيها القارئ الكريم أننا تحدثنا عن ثلاثة من الأوطان الإسلامية التي وقعت تحت سيطرة الاستعمار الروسي وهي: صابرى (سيبريا)، التركستان الغربية، والتركستان الشرقية. وفي هذه الحلقة نتحدث - بعون الله - عن وطن رابع من هذه الأوطان المنكوبة، والحقيقة أن الحديث عن هذه الأوطان حديث ذو شجون، لأنه قراءة مؤلمة لطرف من تاريخ روسيا الأسود الصفحات الأحمر الكلمات، وهي قراءة تشبه الغصص يتجرعها الإنسان وهو لا يكاد يسيغها ولكنها الواقع المؤلم والمحزن أيضًا. فهل من معتبر؟ وحديثنا في هذه المرة عن القوقاز ذلك الوطن الإسلامي الذي ينقسم إلى قسمين :

١- الجنوب:

وهو ما يعرف بأذربيجان ويشمل الجزء الشرقي من جنوب القوقاز وعاصمتها باكو ويبلغ تعداد هذا الوطن أربعة ملايين نسمة. وقد كانت مقرًا لمملكة «شروان» التي ازدهرت كدولة مستقلة سنة ٨٦١ م. وبلاد إيران من الجنوب. وقد نبغ في هذا البلد كثير من الشعراء ورجال الفكر المعروفين مثل النظامي والفلكي، وغيرهما.

وفي أوائل القرن التاسع عشر هجمت روسيا القيصرية بجحافلها الهمجية وفرضت سيطرتها عليها ولكن أبناء هذا البلد هبوا متضامنين مع غيرهم للكفاح ضد هذا الاستعمار واستمروا في كفاحهم حتى سقوط النظام القيصري عام ١٩١٧ م.

واستطاعت أذربيجان أن تعلن استقلالها وتصبح جمهورية مستقلة في ٢٨ مايو ١٩١٨م وتم الاعتراف بها رسميا من عدد كبير من دول العالم وخاصة جيرانها من الجنوب «إيران وتركيا».

وتمكنت هذه الجمهورية الوليدة أن تخطو خطوات واسعة في المجالات الاقتصادية

والعسكرية والثقافية والسياسية ولكنها لم تنعم باستقلالها طويلًا إذ عاودت روسيا طبيعتها الاستعمارية، ولكنها روسيا الشيوعية هذه المرة فقامت في ٢٧ أبريل سنة ١٩٢٠م بغزو همجي مفاجئ لهذه الدولة سقطت على إثره تحت سيطرة الاستعمار الشيوعي الروسي على الرغم من البيان الذي أصدرته روسيا في ذلك الوقت على لسان «لينين» الكذوب معلنًا فيه: الاعتراف بحق تقرير المصير لجميع الشعوب التي كانت تابعة لروسيا القيصرية، ولكن متى احترم هؤلاء الناس عهدهم في القديم والحديث.

وصدق الله العظيم إذ يقول في أمثالهم على عهد رسول الله ﷺ، والكفر كله ملة واحدة: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ٧ - ١٠].

ولم يستسلم أبناء هذا البلد لذلك الغزو بل وقفوا في وجهه بكل شجاعة في وجه العدوان في ذلك الوقت ولكن ماذا تغني الشجاعة أمام الكثرة الساحقة بقضها وقضيضها؟ وترتب على ذلك الجهاد أن أبعد المستعمرون جميع العناصر الوطنية جماعة تلو الأخرى إلى الجزر الثلجية في القطب الشمالي ومعسكرات الاعتقال في سيبريا، وتدفق المهاجرون الروس كالمطر لاحتلال هذه البلاد حتى تصطبغ بالصبغة الروسية الشيوعية.

وقد كان هذا قبل مجيء المدعو جورباتشوف إلى الحكم بفترة طويلة فماذا حدث عند مجيئه؟

لكي تدرك أخي القارئ وحشية الروس وبشاعتهم انقل لك ما كتبه الأستاذ محمد جمال عرفة في مجلة لواء الإسلام عدد شعبان سنة ١٤١٠هـ أي قبل عشرين عامًا تحت عنوان:

جورباتشوف هولاكو أذربيجان:

«(إنني أشارك يوميًّا في دفن الضحايا الجدد ممن يتوفون متأثرين بجراحهم في المستشفيات، لقد أصاب الرصاص الكثيرين بما في ذلك الرصاص المحظور استعماله)، بهذه العبارة المختصرة رد الشيخ شكر الله زاده رئيس الإدارة الدينية لمسلمي ما وراء القوقاز على الصحفيين الذين ذهبوا إليه يسألونه عن أحوال المدينة بعد أن اقتحمت أسوارها دبابات الكرملين ودكها الجيش الأحمر ليخلف وراءه ما لا يقل عن ٣٥٠٠ قتيل ومئات الجرحى أغلبهم من النساء والأطفال الذين فوجئوا بالرصاص ودانات المدافع تنهمر عليهم دون إنذار.

إنها ليست المرة الأولى التي يغزو فيها الجيش الروسي أذربيجان فقد سبق له غزو هذه الجمهورية لأول مرة عام ١٨٠٦ م ، ولكن عندما كان جيشا للقيصر إسكندر الأول، ولكن ما بين الغزوتين ١٨٤ عامًا من الاضطهاد للمسلمين هناك، ومع ذلك ظل الإسلام في قلوبهم، فبعد مرور كل هذه السنين تصور الأذربيجانيون أن سياسة الإصلاحات «البروسترويكا» يمكن أن تشملهم، وأن تصريح جورباتشوف وهو في ليتوانيا يحاول إقناع قادتها بعدم الانفصال، وبأن ما تطرحه الحياة يتطلب إعادة النظر في الصبغة الفدرالية للاتحاد السوفيتي.

تصوروا أن هذا يعني حقهم في المطالبة بالمزيد من الحريات والتغييرات الجذرية، ولكن الرد جاءهم سريعًا من جانب قوات البوليس والمخابرات السوفييتية، فكان رد الفعل الأعنف في المطالبة بالاستقلال على غرار ليتوانيا، وقد اندلعت شرارة المعارك بين السكان المسلمين وقوات الأمن والمخابرات في ثلاث مناطق داخل جمهورية أذربيجان: في جمهورية «تاجيقان» التي تحظي بحكم ذاتي داخل الجمهورية الأكبر والعاصمة «باكو» ومدينة «جليل أباد».

وهذه الأخيرة التي شهدت بداية المصادمات حيث خرج المتظاهرون المسلمون هناك ينددون بدكتاتورية الحزب الشيوعي ومسئولي الحزب وطالبوا بالتعددية الحزبية

الحقيقية، ثم تحولوا لاحتلال مقر الحزب الشيوعي وبعض المؤسسات بعد تدخل قوات الأمن. وقد انتقلت المظاهرات وأعمال الاحتجاج بعد ذلك إلى العاصمة باكو حيث طالب أعضاء حزب الجبهة الشعبية من الإسلاميين بانفصال الجمهورية واستقلالها في إقليم واحد مع أذربيجان الإيرانية وطالبوا بفتح الحدود مع إيران وتركيا، وامتدت الاضطرابات لجمهورية تاجيقان حيث تم إزالة ١٣٧ كيلو متر من علامات الحدود مع إيران، وبدأ الأذربيجانيون في التنقل إلى إيران حتى أن أكثر من (٥) آلاف أذربيجاني انتقلوا إلى إيران لأداء صلاة الجمعة ثم عاد بعضهم، وكان من المشاهد المألوفة على جانبي نهر أراكس الذي يفصل بينها وبين أذربيجان السوفيتية أن تشاهد تجمعات من السكان المسلمين من الجانبين وهم يهتفون سويًّا للإسلام بعد أن حطموا الحدود بل إن بعضهم عبر سباحة أو على قطعة خشب في النهر واستمرت الهتافات وأناشيد الله أكبر ورفعت المصاحف في بهجة إلى أن تدخلت قوات الجيش الأحمر بدباباتها ومدافعها الثقيلة يقودها وزير الدفاع «يازوف» بنفسه لدك جموع المتظاهرين بحجة أن النزاع بين جمهوريتي أرمينيا وأذربيجان حول إقليم «ناجورنو كاراباخ» التابع لأذربيجان قد وصل لدرجة خطيرة من العنف، وأن حياة الأرمن مهددة في أذربيجان». اهـ.

٢- الشمال:

يحده شرقًا بحر قزوين الخزر وغربًا البحر الأسود، وشمالًا خط مانيش وجنوبًا سلسلة جبال القوقاز.

ويتميز هذا الجزء بجهاده الطويلة الذي قارب ثلاثة قرون، ويعرف الجزء الشرقي منها بداغستان - وكان أحد المهاجرين الداغستانيين ويدعي الحاج بكير بك[١] يقيم في عمارة قديمة تطل على ميدان الأوبرا القديم بالقاهرة، وقد زرته أكثر من مرة لجمع بعض المعلومات عن المسلمين في الاتحاد السوفييتي والذي أرشدني إليه هو أستاذي الجليل السيد المهندس محمد توفيق أحمد مؤسس دار تبليغ الإسلام، وعلى الرغم من تجاوزه

(١) تقدمت الإشارة إليه عند الحديث عن زيارتي لسماحة الشيخ مبشر الطرازي الحسيني قاضي قضاة التركستان الغربية.

الخامسة والثمانين من العمر إلا أنه كان يتمتع بحيوية عجيبة وذاكرة قوية لا تخطيء في سرد تواريخ المواجهات مع الروس ولا في ذكر القصص عن شجاعة وبطولة أبناء هذه البلاد، وقد أمدني- رحمه الله - ببعض الكتب والمجلات التي نفعني الله بها في هذا الموضوع كثيرًا، حيث لم تكن المراجع بالكثرة التي هي عليها الآن بعد سقوط الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفييتي.

وكان هذا الرجل يكسب قوته من العمل بالمشغولات الفضية مثل السلاسل والخواتم والعلب وغيرها، وكان موهوبًا في عمل الزينة والحلية منها، وكان يخدم نفسه بنفسه برغم سنه المتقدمة حيث لم تكن له زوجة ولا أولاد رحمه الله رحمة واسعة.

أما الوسط:

فيشمل «شيشان»، «أوسيت»، «قبرطاي»، «بلقار»، «قاراجاي».

وأما الجزء الغربي:

فيعرف بشركستان أي «أرض الشركس» ولقد اعترف المؤرخون من اليونان والرومان والعرب أن سكان البلاد الحاليين هم أبناء المنطقة من زمن بعيد، كما اعترف كثير من الرحالة الأوروبيين بعظمة الدور الذي قام به أهل شمال القوقاز للدفاع عن بلادهم حتى القرن التاسع عشر. بل إن المؤرخ العسكري الروسي «فادييف» اعترف بما يلي:

«إن الحرب مع سكان جبال القفقاس قد أفقدتنا جيشًا يكفي عدده لاكتساح المنطقة الممتدة من مصر إلى اليابان». (مجلة القفقاس ميونيخ ١٩٥٢ م المجلد ١ العدد ٦ ص٩).

ولقد بدأت روسيا القيصرية في القرن السادس عشر هجومها متجهة نحو مصب نهر الفولجا ووقف القوقازيون للدفاع عن بلادهم وحريتهم وعقيدتهم بشجاعة فائقة وبسالة نادرة وبخاصة تحت قيادة المغفور له - إن شاء الله - الإمام شامل الذي اعترف الأعداء قبل الأصدقاء بشجاعته، حتى أن كارل ماركس نفسه يقول:

«أيتها الأمم اعتبري بما يمكن أن يفعله الرجال في الحالات التي ترغب أن تبقي فيها حرة». (مجلة مشاكل التاريخ موسكو ١٩٥٦ م العدد ٢٧).

فمن هو ذلك الرجل الذي يطلق عليه: أسد داغستان؟

ولد الإمام (شامل) رحمه الله عام ١٧٩٦م بقرية «كمري» من أبوين شريفين وتربي على الفضائل التي يتحلى بها قومه من حب للفروسية واعتزاز بالوطنية وحب للإسلام، ولقد تعلم مبادئ الدين الإسلامي وشيئًا من اللغة العربية على يد معلمه ورائد المجاهدين الأول (ملا الغازي) الذي كان يقول للمجاهدين:

«إن السلوك بمقتضي الشريعة وحده لا يضع الأمور في نصابها إذا لم يدعم ذلك بعزيمة صادقة تطرد الروس من البلاد».

وتحالف الإمام شامل مع ملا الغازي على الجهاد وتصفية العناصر التي تمالئ الروس ومنهم أرملة الخان (أي الأمير الزعيم) فاشتبكا مع رجالها في معركة كانت الغلبة فيها لها ولرجالها وكان ذلك في عام ١٨٣٠ م.

ويروي أن الإمام شامل بعد هذا الإخفاق بمدة قصيرة توجه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وفيها التقى بالمجاهد الجزائري الأمير عبد القادر الجزائري، واتفق الصديقان الجديدان على مباشرة الجهاد لإعلاء كلمة الله، فأخذ عبد القادر على نفسه مجاهدة الفرنسيين في الجزائر كما أخذ شامل على نفسه مجاهدة الروس في القوقاز وبدأ كل منهما عمله الذي تعاهدا عليه بعد فترة قصيرة.

في ربيع ١٨٣٢م أعد الغازي رجاله لمباغتة مخافر الروس فجهزوا له جيشًا من ١٠ آلاف جندي لملاقاته في قرية كمري ولم يكن حوله غير ٥٠٠ شخص من المريدين والأنصار الذين صمدوا حتى آخر نفس وقد ربطوا أرجلهم في هذه المعركة ولم ينج من رجاله إلا اثنان كان شامل أحدهما. وخلف الغازي في القيادة حمزة بك الذي استشهد وهو قائم للصلاة.

وفي تلك الأثناء حاول «شامل» أن يثير الشراكسة ولكنه لم يظفر بنتيجة فلبث في قطاعه واستقر في قرية «قولغو» في ذروة الجبل، ومن هناك اجتمع حوله أصحابه، وكان جنود شامل قد نذروا أنفسهم للجهاد وكانوا يتميزون بشارة خضراء على غطاء الرأس الذي يلبسونه، وكانوا يتألفون من عناصر شتى كما انضم إليهم عدد من الروس الذين فروا من المعسكرات القيصرية وخصوصًا أبناء بولونيا، فازدادوا بهم قوة.

أعدت قيادة الجيش الروسي معسكرًا لها بالقرب من بحر الخزر في مكان يسمى «دميرخان شورا»، وبالإضافة إلى مصادمات هذا الجيش مع جنود شامل، ابتلي بالتيفوس والدوسنتاريا، وكان على القيصر أن يبعث كل عام ١٠ آلاف إلى القفقاس ولم تكن هذه الآلاف لتكفي عوضًا عما تفقده جيوش القيصر.

تمكن الإمام شامل بمعونة البولونيين الفارين اللاجئين إليه أن يجعل من قرية (قولغو) قلعة حصينة.

وفي يوم ٢٩ حزيران ١٨٣٨م بدأ الجنرال الروسي (غراب) هجومه وكان الصدام مروعًا واضطر الروس أول الأمر إلى التراجع، ولكن بعد أربعة أيام انهمرت قنابل المدافع من جانبهم بكثافة وتبعها هجوم شديد فتهدمت الأسوار وحوصر مئات المحاربين بين الأنقاض وانقطع الغذاء والماء عن القرية، وانتشرت رائحة الجثث وحامت البوم فوق القرية تنعي من بناها.

وانتهز الروس هذه الفرصة وتحركوا للإمام وطلب القائد الروسي (غراب) ابن الإمام شامل جمال الدين كرهينة ليكف عن القتال ويبدأ المفاوضات.

وفي ١٨ أغسطس أرسل شامل ابنه إلى القائد الروسي وابتدأت المفاوضات ولم تسفر عن نتيجة.

وأرسل (غراب) رهينته إلى (بطر سبورغ) العاصمة، ولما علم شامل بذلك أدرك أن الروس خدعوه وهرَّبوا ولده فاشتدت مقاومته للروس.

وفي اليوم الثاني ابتدأ الهجوم الأخير واشتركت النساء والأطفال في صده وكانوا يهاجمون عساكر الروس ويجردونهم من حرابهم، وكان شامل لا يرحم الجواسيس الذين يقبض عليهم فكان يفصل رؤوسهم عن أجسادهم ويبعث بها إلى الروس، واستولى الروس على القلعة في ٢٠ أغسطس وتمكن أسد الداغستان من النجاة بنفسه بعد أن ترك وراءه أخته وزوجته الثانية لاستشهادهما في هذه المعارك، واستطاع بعض الرجال أن يفروا بولده الأكبر.

في عام ١٨٤٠م لم تهدأ الحرب لا في داغستان ولا في شرق القفقاس إذ اتحد الجراكسة مع بقايا الداغستانيين من المجاهدين وأقاموا جبهة ثانية.

وفي ١٠ أيار (مايو) ١٨٤١م قاد الجنرال غراب جيشًا مؤلفًا من ١٠ آلاف ولكنه هزم هزيمة نكراء وخسر ألفي قتيل، وفي ١٨٤٢م حل نيوهارت مكان الجنرال المهزوم.

في عام ١٨٤٥م تبدلت الأمور مرة أخرى وتولى القيادة فوردنتزوف وهاجم داركو فانحدر عنها مخلفًا على الساحة من القتلى: ثلاثة من القادة و٢٠٠ من الضباط و٣٥٠٠ رجلًا من الجنود، وبقي من اللواء الحربي الذي كان عليه كرينسكي ٢٤ رجلًا أحياء فقط.

وفي سنة ١٨٥١م ضاق شامل بتصرفات الحاج مراد الشاذة فحكم عليه بالموت، ولكنه هرب ولجأ إلى الروس، ولكنهم أرسلوه إلى «تفليس» ولم يدعموه كما يجب ليثأروا من شامل، ولذلك هرب منهم فقبض عليه وأعدم وشهد الناس رأسه المفصول عن جسده.

وكانت هذه الحادثة نذير شؤم فقد تولى «بارتنيسكي» القيادة العامة مكان فوردنتزوف، واستطاع هذا القائد أن يستميل الكثير من رجال شامل وقام بقطع الأشجار التي كانت تساعد على حرب العصابات.

في صيف ١٨٥٤م كانت أميرات كرجيات زوجات القادة الروس في قصرهن في «تسينوندال» لقضاء الصيف، فأقبل بعض رجال الجبال وداهموا القصر وأخذوا الأميرات وأولادهن وخدمهن عنوة وأسلموا الجميع إلى شامل، وبقيت الأميرات في أسر شامل ستة أشهر في ظروف صعبة، وأرسل شامل إلى القيصر يشترط عليه الإفراج عن ولده جمال الدين حتى يتم الإفراج عن الأميرات وقبل القيصر وتم الإفراج عن الابن الذي تلقاه والده بشوق عظيم، ولكن الموت أدركه بعد وقت قصير مما ضاعف آلام والده.

وفي ١٨٥٨م احتل الروس ديار الشيشان ومشرق داغستان وسيطروا عليها، وفي عام ١٨٥٩م سقطت «ودين» في أيديهم أيضًا، وانتقل شامل إلى قرية أخرى هي «كونيب» وكان اليأس من النصر قد دب إلى نفسه، وبعد مفاوضات قصيرة سار الأسد يحيط به خمسون رجلًا من مساعديه إلى معسكر «بارتنيسكي» مستسلمًا طارحًا سيفه.

أرسل «بارتنيسكي» الإمام شامل إلى القيصر الكسندر الثاني الذي استقبله بالترحيب وخصص له قصرًا واسعًا في «كالوكا» بأطراف موسكو، ولم تكن سعة القصر لتخفف من ضيق صدره نتيجة أسره.

وفي يوم طلب أن يذهب إلى الديار الحجازية لأداء فريضة الحج، ومر باستانبول فلقي من السلطان العثماني ترحابًا واحترامًا عظيمين ورافقته هذه المظاهر حتى وصل إلى مكة المكرمة وأدى مناسك الحج ثم انتقل إلى المدينة المنورة حيث عاش في المدينة بجوار رسول الله ﷺ.

وفي شباط «فبراير» عام ١٨٧١م أدركته الوفاة وهو يكرر لفظ الشهادة ولقي ربه مؤمنًا حقًا ومسلمًا صدقًا وراضيًا مرضيًّا إن شاء الله.

وهكذا سطر ذلك الإمام البطل صفحات مشرقة من تاريخ الجهاد الإسلامي على مدى ثلاثين عامًا، رحمه الله رحمة واسعة وأنزله ومن جاهد معه منازل الأبرار والصالحين.

وبعد أن تمت الغلبة للروس أجبروا القوقازيين على الهجرة خارج بلادهم، وكان نصيب تركيا من أولئك البائسين مليونًا ونصف لقي معظمهم حتفه بسبب الجوع والمرض أو ابتلعته أمواج البحر الأسود. كما توجد ألوف منهم في سوريا والأردن.

أما القبائل التركية التي تسكن بين جبال القوقاز ونهري الفولجا والدون فقد أبيدت عن آخرها وحل محلها المهاجرون الروس.

وتتوالى الأحداث ويتمكن أهل شمال القوقاز من إعلان استقلالهم في ٨ مايو ١٩١٨م، ولكن لم يمض غير قليل حتى أصبحت تلك البلاد مسرحًا للمعارك بين القيصريين والبولشفيك، ولما انتصر البولشفيك صبوا عذابًا على أهل البلاد فوق العذاب الذي صبته عليهم القيصرية فعملوا على تمزيق وحدتهم وألحقوا إدارتهم الوطنية بحكومة موسكو مباشرة، ثم بدلوا حروف لغتهم بالحروف الروسية، وشنوا حربًا ضارية ضد الدين الإسلامي ونهبوا ثروة البلاد وخصصوا أهم المناطق لسكنى المهاجرين الروس.

ولما خرجت دول الحلفاء منتصرة من الحرب العالمية الثانية بدأت روسيا في إبادة الشعب شمال القوقاز نهائيًا فأصدرت في ٢٣فبراير ١٩٤٤م قرارًا رسميًّا بتشتيت هذا الشعب ونفيه إلى سيبريا وآسيا الوسطى، واستمرت المعاناة حتى زوال الاتحاد السوفيتي واستقلال الدول الداخلة فيه.

ويعيد التاريخ نفسه:

لا شك أن أنباء عدوان الروس الوحشي وغزوهم الهمجي لجمهورية الشيشان الإسلامية تدمي القلوب وتبعث الأسى والحسرة في النفوس .

ولكن ماذا يملك من ضاقت ذات يده غير الكلمة الطيبة؟ على نحو ما قال المتنبي:

لا خيل عندي أهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

وهذه كلمة موجزة عن هذه الجمهورية المكافحة سطرها القلم من وحي الأحداث وأضيفت مؤخرًا إلى صفحات هذا الكتاب.

تقع هذه الجمهورية في شمالي القوقاز وتبلغ مساحتها حوالي ١٩٠٠٠ كيلومترًا مربعًا، ويبلغ عدد سكانها حوالي المليون ونصف المليون، ويمثل المسلمون أكثر من ٦٥ ٪ من مجموع السكان، وعاصمتها تسمى جوروزني ومعني كلمة جوروزني: الرعب، نظرًا لبسالة أبنائها المنقطعة النظير، وقد حباها الله بكثرة الأنهار وخصوبة التربة وتدفق الثروات البترولية وغيرها مما أفاء الله عليها.

والذي يقلب صفحات التاريخ يجد أن العدوان الروسي الوحشي في هذه الأيام قد بدأ في أواخر ١٩٩٤م ولا يعلم الله وحده متى ينتهي، وليست هذه أول نكبة لهذه الجمهورية بالعصابات الروسية المجرمة، فقد سقطت في أيد القياصرة حين دهمتها جحافلهم عام ١٨٥٠م من الميلاد (١٢٦٧هـ).

ولم يكتف هؤلاء الغزاة بالغزو العسكري بل اتجهوا إلى الغزو العقائدي والفكري فبذلوا الجهود المضنية لتنصير المسلمين من أبناء هذه الجمهورية ولكنهم باءوا بالفشل والخسران مصدقًا لقوله تعالي:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦].

وعندما قامت الثورة البلشفية عام ١٩١٧ م استولى الشيوعيون الحمر في عهد لينين على القوقاز -كما قرأت أنفا- ومن بينه جمهورية الشيشان وقد جعلها لينين عام ١٩٢٢م مقاطعة ذات حكم ذاتي، وفي أواخر عام ١٩٣٦م وحَّدها مع مقاطعة الأنجوش وأعطيت اسم: جمهورية ذات حكم ذاتي.

وقد مر بك ما تعرض له أهل القوقاز من نفي وتشريد وقتل وتجويع بعد انتصار الشيوعيين.

وكان نصيب هذه الجمهورية نفي وتشريد جميع أبنائها وتقسيم أراضيهم على جمهورية جورجيا بأمر الجزار ستالين وذلك عام ١٩٤٤م.

وقد مكثوا في هذا المنفي الجليدي في مجاهل سيبيريا زهاء خمسة عشر عامًا، وعلى الرغم من ذلك ظلوا متعلقين بدينهم وعاداتهم وتقاليدهم الإسلامية. وحينما عادوا إلى وطنهم ظهرت عاداتهم وتقاليدهم الإسلامية واعتزازهم بلغتهم، وكانت بلدهم بمثابة منارة للإسلام لأنهم كانوا أكثر المسلمين تمسكًا بدينهم بين مسلمي الاتحاد السوفيتي، لذلك جعل الشيوعيون من هذه الجمهورية حقلًا خصبًا لإجراء التجارب على كيفية محاربة الدين واقتلاعه من جذوره، فقاموا بإغلاق وتعطيل جميع المساجد ولم يتركوا منها ولو مسجدًا واحدًا- ويمكرون ويمكر الله - فقد زادت هذه الإجراءات من تمسك الشيشانيين بدينهم ولو بطريقة سرية غير علنية، وتنامت الكراهية الشديدة للنفوذ الشيوعي في نفوسهم، فاضطرت السلطات إلى فتح بعض المساجد بعدد أصابع اليد الواحدة في القرى المحيطة بالعاصمة جوروزني.

وحينما هوت ريح التمزق بالاتحاد السوفيتي في واد سحيق وأعلنت بعض جمهورياته انفصالها واستقلالها، أراد الشيشانيون أن يستقوا ببلدهم فلفظوا الحاكم الذي فرضته روسيا الاتحادية واختاروا واحدًا منهم وسرت فيهم روح إسلامية جديدة تمثلت في افتتاح العديد من المراكز والمدارس الإسلامية وبناء العديد من المساجد، وعندئذ زلزلت الأرض زلزالها وانقض الدب الروسي كالثور الهائج، وها هو ذا يصب ألوانًا من الوحشية والعدوان على أبناء هذه الجمهورية الصغيرة للسيطرة عليهم وإذلالهم. ولكنهم هبوا عن بكرة أبيهم ليقفوا في وجه هذا العدوان الوحشي وقفة الشرفاء المخلصين أبناء المجاهدين، ومن العجيب أن روسيا لم تسلك هذا المسلك الوحشي مع الجمهوريات المسيحية التي أعلنت استقلالها من قبل، والأعجب أن تقف الأمم المتحدة من هذا العدوان، بل من العدوان على المسلمين بصفة عامة كالمشلول العاجز الذي لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم.

ولا تزال المناوشات بين أهل الشيشان والروس حتى يومنا هذا، ونسأل الله لهم النصر المؤزر والاستقلال التام.

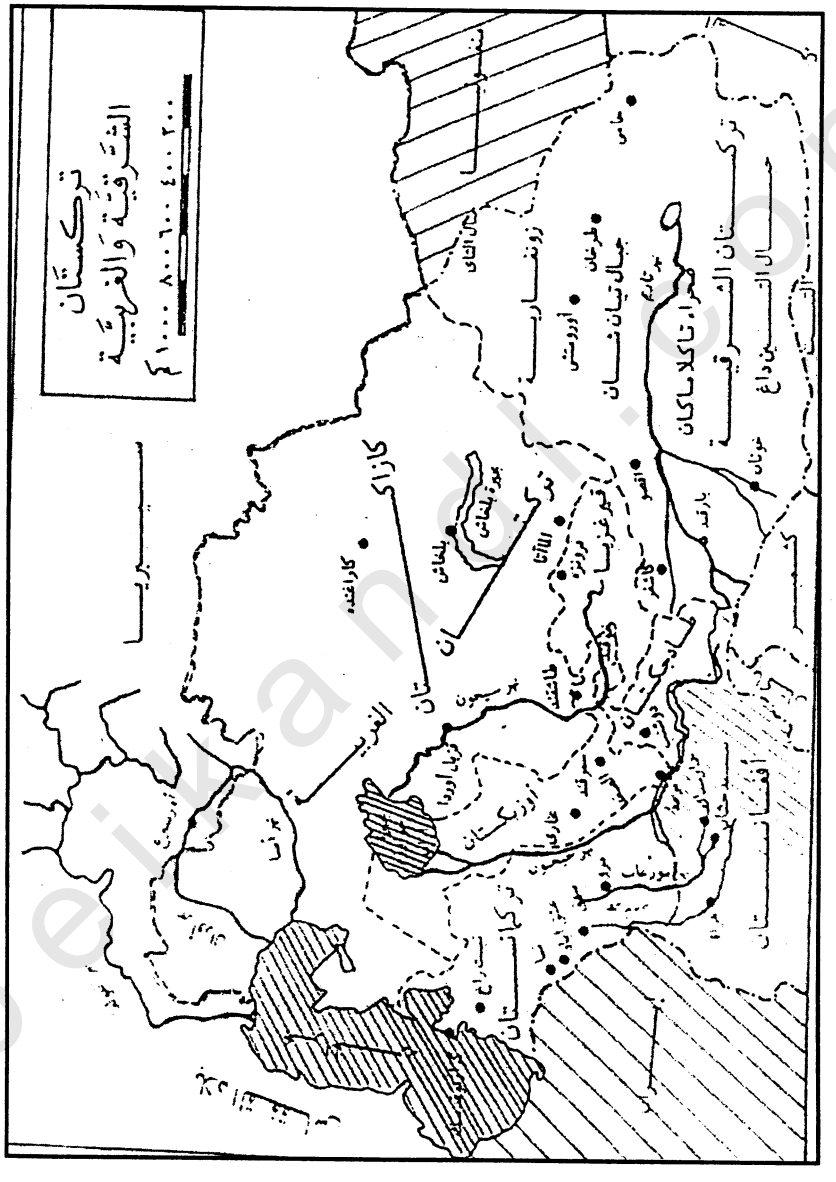
تركستان
الشرقية والغربية
١٠٠٠ ٨٠٠ ٦٠٠ ٤٠٠ ٢٠٠ كم
سيبريا
كازاكستان الغربية
كازاكستان
كاراغندة
بلخاش
بحيرة بلخاش
تركستان الشرقية
جبال تيان شان
أورومتشي
زونغاريا
ياركند
خوتان
كشمير
الصين
طشقند
سمرقند
بخارى
أورنبرغ
بحر آرال
بحر قزوين
تركمانستان
أفغانستان
إيران

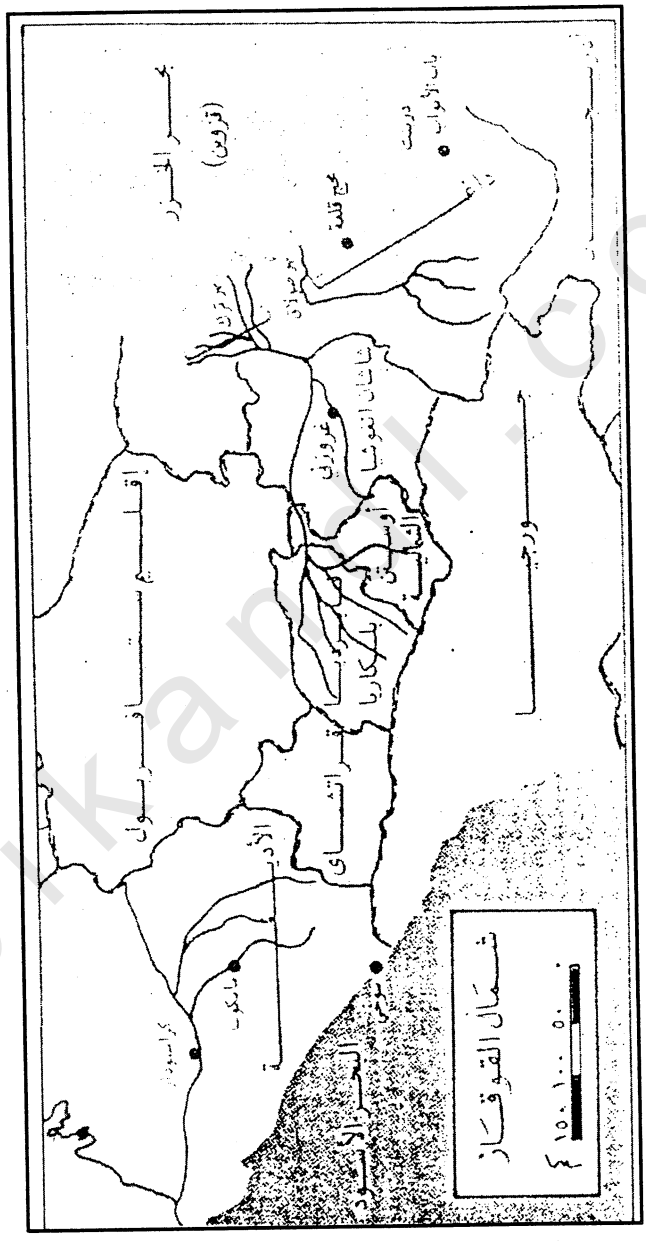
بحر الخزر
(قزوين)
باب الأبواب
دربت
خليج قلة
غروزني
خانات النوشا
أوسيتيا الشمالية
كاباردا بلكاريا
قراتشاي
الأدغ
مايكوب
إقليم شمال القوقاز
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ كم

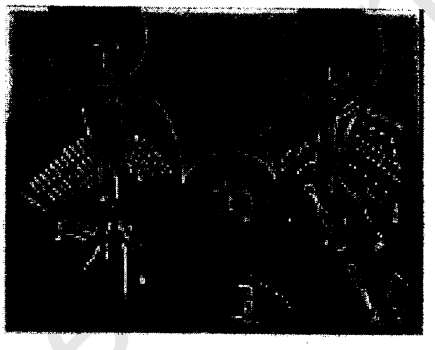

صور مختلفة لأسد داغستان الإمام شامل

هـذا نـذير

(٥) القرم: المستعمرة الإسلامية الخامسة

انتهينا في الحلقات الأربع السابقة من الحديث عن سيبيريا والتركستان الغربية والتركستان الشرقية والقوقاز، وهي أوطان إسلامية وقعت في قبضة الاستعمار الروسي، وفي هذه الحلقة نتحدث - بعون الله - عن وطن خامس حلت به نكبة ذلك الاحتلال الروسي اللعين .. إنه القرم الإسلامية فأين تقع هذه الدولة؟ وما هي قصة كفاحها حتى سقطت ضمن ضحايا العدوان الروسي؟

تقع هذه الدولة - وهي شبه جزيرة على شاطئ البحر الأسود على بعد ٣٠٠ ميل من الشاطئ التركي الشمالي، ويحيطها غربًا وجنوبا البحر الأسود وشرقًا مضيق كرنشي وبحر أزاق الذي يفصل بينها وبين القوقاز، وتتصل شمالًا بالبلاد الاوكرانية وتبلغ مساحتها ٢٧٠٠٠ كيلو مترًا مربع وهي آخر ما تبقي من الأجزاء المستقلة لدولة الخزر.

أما قصة كفاحها أو بمعنى أدق قصة مذبحتها فإننا لا نستطيع أن نأتي بكل تفاصيلها في هذه الصفحات وحسبنا التمثيل إذا تعذر التفصيل، وتصور تلك القصة عداء الضالين التقليدي للإسلام ممن يدعون أنهم أتباع المسيح عليه السلام، وتربصهم الدوائر بأبنائه، ويشاركهم في هذا الشعور العدائي أتباع كارل ماركس فالكل تجمعهم رابطة واحدة من الضلالة ويحركهم دافع واحد هو محاربة الإسلام وإن كانوا فيما بينهم يلعن بعضهم بعضًا.

تبدأ هذه القصة عندما دالت دولة «آلتين أوردو» وأصبحت القرم دولة تركية إسلامية سنة ١٤٢٨م.

وطبقًا للمعاهدة التي عقدت بين روسيا والدولة العثمانية سنة ١٧٧٤م استعادت القرم استقلالها وكان من نصوص تلك المعاهدة الاعتراف بالاستقلال التام للقرم.

وقطعت (كاترين الثانية) ملكة روسيا في ذلك الوقت العهد على نفسها بحماية ذلك الاستقلال، ولكن على الرغم من ذلك كانت القرم هدفا للغزو الروسي عام ١٧٨٣م،

وانتهكت حرمة استقلالها بدافع من الأطماع الاستعمارية، وفي الثامن من أبريل من ذلك العام أعلنت (كاترين الثانية) تصريحها الذي تتعهد فيه بالحرص على حماية الأديان واحترامها وصيانة الأرواح والممتلكات في القرم، ولكن ما حدث كان على العكس من ذلك كله، فما أن تم لها غزو القرم وضمها إلى روسيا حتى أخذت معاول الهدم والتخريب تعمل عملها لإفساد الجانب الديني والجانب الثقافي، واغتصبت حكومة الاحتلال الأرض ووضعت يدها عليها وصادرت الممتلكات ثم أرغمت أهل البلاد على الهجرة من وطنهم وانعكست هذه السياسة على البلاد وأهلها بصورة سيئة فقد انكمشت رقعتها وتناقص عدد السكان إلى نصف مليون تقريبًا في عام ١٨٩٥ م بعد أن كان خمسة ملايين نسمة، وامتدت يد الهدم والتخريب إلى بيوت الله فانخفض عددها من ١٥٥٨ مسجدًا إلى ٧٠٠ مسجد.

وتتميز القرم بمناخها المعتدل ومناظرها الخلابة وثرواتها الطبيعية الوافرة، ولهذا يتخذها زعماء الاتحاد السوفيتي مكان استجمام يقضون فيه فترة الصيف.

وكغيرهم من أبناء الأوطان الإسلامية المجاهدة هب أبناء القرم لمقاومة هذا الغزو الأجنبي على الرغم من المظالم والمصائب التي صُبت عليهم وتمكنوا بعد كفاح بطولي من الحصول على استقلالهم الذاتي في عام ١٩١٧م.

وفي ذلك الوقت انعقد مؤتمر القرم الوطني المكون من أعضاء انتخبهم الشعب انتخابا حرًا وقام بوضع الدستور القومي للقرم في نفس العام، ولكن روسيا الشيوعية الحمراء هذه المرة كانت أحرص على استعمار القرم من روسيا القيصرية فلم تترك أهلها يتمتعون بالاستقلال ولو إلى حين، وإنما أرسلت جيوشها للقضاء عليهم وقهرهم ووقعت كارثة الاحتلال مرة أخري ودخلت القرم ضمن الممتلكات الروسية الشيوعية.

ولم يكن حال أبناء القرم ولا حال بيوت الله بأحسن من ذي قبل، فقد احتل المهاجرون اليهود بعض المساجد وتحول البعض إلى كنائس وإلى دور للهو ومقاهي وسينما، وإلى ناد لترويج مبادئ الشيوعية واصطبلات لخيول الجيش الأحمر وخيول الهيئات الكولخوزية.

ومن أشهر المساجد التي حولتها روسيا لهذه الإغراض الهابطة مسجد خان جاميس وهو من أعظم مساجد مدينة كور لوه وأحسنها ويرقد في حديقته الشهداء أمثال الفريق سليم فتحي باشا وسعادة علي بك ورستم بك الأبطال الذين أبلوا بلاء حسنًا في الحرب المقدسة التي أعلنها العالم الإسلامي ضد الاستعمار الروسي، واشتركت فيها مصر في عهد الخديوي عباس الأول، ودفن أولئك الشهداء في حديقة الجامع المذكور ليكونوا رمزا للآخوة الإسلامية، لقد تحول هذا المسجد إلى مخزن للقطن في عام ١٩٣٦ م ولما لم تنجح فكرة إقامة وطن قومي لليهود في القرم راح الشيوعيون يطبقون أساليبهم بوحشية لإخضاع أهل هذه البلاد وتدميرها فماذا صنعوا؟.

(ولا يفوتني أيها القارئ أن أشير مرة أخرى إلى أن التفكير في إقامة وطن قومي لليهود في القرم ثم في أوغندا يفند زعم إخوان القردة والخنازير بأن فلسطين أرض الميعاد التي وعدها الله سيدنا إبراهيم بأن تكون لأبنائه، وسوف نجهز على هذا الزعم في المبحث الحادي عشر من هذا الكتاب بإذن الله).

حينما اعتصم جيش القرم بالجبال ووقف أهل البلاد إلى جوارهم لجأ الروس إلى حرب التجويع وذلك بنقل كل الأقوات من شبه الجزيرة، وتعرضت البلاد من جراء هذا العمل الوحشي إلى مجاعة خطيرة عام ١٩٢١ م، وإذا كانت لغة الأرقام هي أصدق اللغات في بعض الأحيان كما يقولون فقد نشرت جريدة أزفتيا) الروسية تقريرًا لـ«كالينين» عن مجاعة القرم في عددها الصادر في ١٥ يوليو ١٩٢٢ م جاء فيه ما يلي:

بلغ عدد الذين أصابتهم محنة الجوع في يناير (٣٠٢,٠٩٠) مات منهم (١٤,٤١٣) وارتفع عددهم في شهر مارس إلى (٣٧٩,٠٠٠)مات منهم (١٩,٩٠٢) وبلغ في أبريل (٣٣٧,٠٠٠) مات منهم (١٢,٧٥٤) وفي يوليو بلغ العدد (٣٩٢,٠٧٣).

وتوقف عن ذكر عدد الموتى إلا أنه قال:

«إن أكل لحم الإنسان لم يكن من الحوادث المستغربة أو تبدو عجيبة في بابها».

ولقدتحدثت في جريدة برافدا في عددها الصادر بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٢١م فقالت:

«إن مجاعة القرم كانت أشد من مجاعة حوض الفولجا».

وهكذا تكشف لنا هذه الأعداد عن أسرار تلطخ وجه موسكو بالسواد نتيجة هذه الفظائع التي ارتكبتها لتقضي على عزائم مسلمي القرم وأبطالها المجاهدين الأحرار.

وهي فظائع تنفطر لها القلوب، ولقد بدأ الروس يتجرون بالأرزاق التي استولوا عليها وجعلوا المقابل هو الحلي والنقود الذهبية، والجواهر وما إليها من الأشياء الثمينة التي كانت لدى العائلات المسلمة، ولما نفدت هذه الأشياء بدأ فريق في الهجرة إلى البلاد الأخرى، والذين عجزوا عن الهجرة تفرقوا في أنحاء شبه الجزيرة باحثين عما يمسك رمقهم هم وأولادهم، وكانوا يتساقطون كأوراق الخريف، وبلغت المجاعة ذروتها حتى أكلت النساء لحوم أطفالهن!!! كما أشار كالينين في تقريره آنفًا، ولم تقنع روسيا بحرب التجويع بل بدأت حرب الإبادة أو التصفية الجسدية كما يقال، وقد تمثل ذلك في أمرين:

الأمر الأول: إعدام «ولي إبراهيم» رئيس الجمهورية مع جميع وزرائه في عام ١٩٢٨م. وفي سنة ١٩٣٠ م قتلوا «محمد قوباي» رئيس الجمهورية ووزرائه جميعًا أيضًا. وفي عام ١٩٣٧م استدعوا «إلياس طرخان» إلى موسكو وهو رئيس الجمهورية وتم إعدامه رميا بالرصاص أثناء محاكمة الجنرال «تحاتشنفكسي».

الأمر الثاني: بالنسبة لباقي السكان صدر قرار حكومي في يونيو ١٩٤٦ بترحيلهم جميعًا من القرم إلى وطن آخر أو بمعنى أدق بتشريدهم في وطن أو أوطان أخرى، وكان عددهم حينئذ «٤٠٠,٠٠٠» نسمة.

وهكذا لا يوجد في القرم اليوم مسلم واحد!!! من خمسة ملايين مسلم كانوا أهلها وأصحابها ولهم طابعهم وحضارتهم وشخصيتهم الإسلامية.

ولقد تحول هؤلاء المنكوبين إلى عمال يهيمون على وجوههم في مجاهل سيبريا وباقي الأراضي الإسلامية الشاسعة المغتصبة، وانفصمت روابط الأخوة بينهم ولم يعد لهم آذان ولا صلاة. وهكذا سقطت القرم لتضيف إلى قائمة مستعمرات روسيا مستعمرة أخرى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إسماعيل بك غصبر يلي.

وإذا كنا قد تحدثنا في الصفحات السابقة عن أحد المجاهدين الأبطال في القوقاز وهو الإمام شامل، فإننا نتحدث في هذه المرة عن مجاهد آخر هو «إسماعيل بك».

غصبريلي: والبعض يكتبها غصبرنسكي ولكن إضافة «نسكي» من صنع الروس جريا على عادتهم في مسخ كل شي وصبغه بصيغتهم.

كتب الأستاذ الدكتور «زكي علي» الطبيب المسلم المهاجر والمجاهد في سبيل الله الذي يقيم في جينيف منذ عام ١٩٣٣م كتب مقالًا عن هذا الرجل في جريدة «الجهاد» الصادرة في القاهرة في ٣٠ أبريل ١٩٣٥م جاء فيه ما يلي:

«ولد إسماعيل بك غصبريلي عام ١٨٥١م في أسرة تركية كريمة المحتد ولما شب وترعرع أرسله أبوه إلى موسكو ليلتحق بمدرستها العسكرية، وهناك اتصل بكانكوف الزعيم الوطني الروسي، ونشأت بينهما صداقة وصار يتردد عليه طوال مدة إقامته في موسكو، وكان من أثر ذلك أن تنبهت في إسماعيل وهو في ريعان الشباب الفكرة القومية والعاطفية الوطنية فصحت عزيمته منذ غادر موسكو فيما بعد إلى الآستانة على أن يقف نفسه على خدمة أمته وإصلاح حالها، وتكوين وحدتها القومية وأراد أن يطلع على أسرار تفوق العالم الأوربي وأن يدرس عن كثب مظاهر حضارته وارتقائه فرحل إلى باريس، وهناك احتك بثقافة الغرب ومدنيته فنضج فكره وعرف كيف يتوخى خير الوسائل في سبيل التجديد الثقافي والإصلاح الديني ثم عاد وقد أيقن أنه لا بد لنهوض قومه من الأخذ بالأساليب الحديثة في التعليم وبث المعارف العصرية في نفوس ناشئة المسلمين،

وكان إسماعيل غصبريلي يسعى في جهاده وراء غايتين:

تكوين الوحدة القومية بين مسلمي روسيا أولًا ثم إنهاض العالم الإسلامي وإصلاح حاله ثانيًا. وقد كان من أبرز صفات ذلك الرجل العظيم: الوطنية الحقة والحمية الدينية الخالصة، فكان تركيا وطنيا صميما ومسلما تقيا مخلصًا، واستعان على نشر دعوته بأن أصدر في شهر أبريل عام ١٨٨٣م لأول مرة جريدته «ترجمان» التي بقيت حتى عام ١٩٠٥م الصحيفة الوحيدة التي تصدر باللغة التركية في روسيا كلها.

وشرع يوقظ الشعور القومي بين المسلمين بكتاباته التي يحض فيها على الوحدة في اللغة والفكر والعمل، ومن أجل ذلك اهتم بتوحيد اللهجات التركية والتترية المختلفة واستخلاص لغة موحدة للكتابة ووجه جانبًا عظيمًا من جهوده إلى محاربة الجمود الديني وأسس مدرسة وطنية نموذجية في بلده «بغجة سراي» عام ١٨٨٤م يتخرج فيها النشء المسلم مشبعًا بالروح الوطنية القومية التركية والتعاليم الإسلامية والمعارف العصرية، كما أنه طبع نسخة جميلة من القرآن الكريم في مطبعة جريدته «ترجمان».

وكان يرى أن النهضة القومية يجب أن تبقى مطبوعة بالطابع الإسلامي، أي أن النهضة الوطنية والدينية توأمان مؤتلفان، ثم أراد غصبريلي أن لا تقتصر دعوته إلى الإصلاح على مسلمي روسيا، بل دفعته محبة الإسلام وطموحه إلى رؤية نجم الأمة الإسلامية يتألق من جديد في سماء العالم إلى أن يحفز همم المسلمين في جميع الأقطار ويحضهم على تعزيز الروابط الروحية بينهم وتوثيق صلات التعاون والتآزر لإصلاح العالم الإسلامي.

فوفد إلى مصر في أكتوبر عام ١٩٠٧م داعيًا إلى عقد مؤتمر إسلامي عام يجتمع فيه ممثلو الشعوب الإسلامية للبحث في شئون الإسلام وإصلاح حال المسلمين، واجتمع يومئذ بالشيخ علي يوسف رحمه الله صاحب جريدة «المؤيد» وكاشفه بفكرته التي حضر من أجلها فهيأ له حفلة كبرى حضرها عظماء مصر من العلماء والكبراء والكتاب وزعماء الحركة الوطنية والفكرية وأصحاب الجرائد والمجلات وألقى إسماعيل غصبريلي خطبة

مستفيضة تكلم فيها عن فكرة المؤتمر وتوحيد كلمة المسلمين.

وقد عقد المرحوم «المنفلوطي» فصلًا في «نظراته» عن المؤتمر الإسلامي وقال فيه عن إسماعيل غصبريلي:

«سرني منظر ذلك الرجل العظيم والداعي الكريم وهو قادم إلى مصر يجتاز التخوم ويتخطى البلدان ويطوي الغبراء طي الكواكب الخضراء يقوده الأمل ويسوقه الرجاء وبين جنبيه همة عالية ونفس كبيرة. سرني منظره وهو قائم بين جماعات المسلمين يحاول أن يرأب صدعهم ويلم شعثهم ويجمع كلمتهم ويؤلف بين قلوبهم. نعم كان إسماعيل غصبريلي مسلمًا عظيمًا ووطنيا فذا ومصلحا كبيرًا بعث الروح القومية بين ملايين المسلمين العديدين في روسيا وجاهد طوال حياته ليس لترقية بني جنسه وإعلاء شأنهم فحسب بل لإيقاظ العالم الإسلامي وإصلاحه، وقد وافته منيته عام ١٩١٤م بعد أن ضرب للناس مثلًا في العظمة الحقيقية والبطولة، فما أجدر المسلمين بتخليد ذكراه ما تعاقبت الأجيال».

تلك سطور مضيئة كتبها المجاهد المسلم الدكتور «زكي علي»[1] عن هذا المصلح العظيم منذ أكثر من خمسين عامًا ونحن نسجلها اليوم كما هي وفاء بحق الرجلين داعين بالصحة والعافية للأول وبالرحمة والمغفرة للثاني جزاء ما بذل وقدم كل منهما من أجل الإسلام والمسلمين.

بقيت كلمة أخيرة أوجهها إلى من يطلع على هذه الصفحات من أبناء الدول التي جاء ذكرها فيها وهي:

---

(١) انتقل هذا المجاهد العظيم إلى جوار ربه عام ١٩٩٩م، عن عمر جاوز التسعين عامًا، ونقل جثمانه من جنيف إلى بلدة أنشاص في محافظة الشرقية مسقط رأسه حيث دفن في مقبرة والده حسب وصيته -رحمه الله رحمة واسعة- فإليه يعود الفضل -بعد فضل الله- في انتشار الإسلام في غرب أوربا، ولقد أعان الله صاحب هذه الصفحات على الكتابة عنه في حياته في مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية وبعد وفاته في مجلة «البعث الإسلامي» الهندية وذلك تحت عنوان: مجاهد بغير طبول. ومن العجب أن نقابة الأطباء في جنيف كرمته واعترفت بدوره سواء في ميدان الطب أو في الميدان الثقافي واختارته رئيسًا فخريًا لها مدى الحياة، ولا ندري بماذا كرمته نقابة الأطباء في مصر؟

إن ما كتبته هنا هو جهد المقل واحتسب ما بذلت من وقت في جمع هذه المعلومات عند الله تبارك وتعالى، وإن فاتني شيء أو أخطأت في شيء فما ألوت الصواب جهداً ولا الحق ابتغاء وقصداً ورحم الله امرئ أهدى إليَّ عيوبي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

obeikandl.com